

ظاهرة التنغيم في القرآن الكريم وأثرها في اختلاف الدلالات نماذج من سورة "ص"

The phenomenon of intonation in the Noble Qur'an, and
its impact on semantics differences, Samples from Surat
"SAD"

إعداد الدكتورة: كوثر قوفي

دكتوراه الدراسات اللسانية المقارنة – جامعة البليدة 2

kaouter.gf@gmail.com

تاريخ الإرسال 2020/12/30	تاريخ القبول: 2021/05/18	تاريخ النشر: ديسمبر 2021
--------------------------	--------------------------	--------------------------

الملخص باللغة العربية:

تتكون اللغة الانسانية من مجموعة من الأصوات التي تتضافر فيما بينها لتشكل لنا مجموعة من التراكيب ذات الدلالات، والتي نعبر من خلالها عن احتياجاتنا وأغراضنا المتعددة، وتشكل الأصوات المتضافرة داخل منظومة اللغة تنوعات صوتية، حاولنا في هذا المقال معرفة ما هيّة التنغيم وما أثره في اختلاف الدلالات وتوجيه المعاني، وقد تعرضنا لمفهوم التنغيم وأهمية الظاهرة ووظيفتها في تحديد الدلالات المختلفة من خلال الأساليب والسياقات، كما بحثنا عن مستويات التنغيم وما مدلولات اختلاف النغمات صعودا وهبوطا وثباتا في درج الكلام بحسب تعدد الأساليب الخبرية والانشائية والتقريرية، فميزنا النغمة الهابطة، والصاعدة والثابتة المسطحة.

وتوصلنا أخيرا إلى أن ظاهرة التنغيم من الظواهر التي تتعلق بالكلام المنطوق دون سواه، والتي توجه دلالات التركيب من خلال اختلاف النغمات بتعدد الأساليب والسياقات، فهي ملمح فوق تركيب يوضح الدلالات المكونة في التراكيب.

الكلمات المفتاحية:

اللغة، الأصوات، ظاهرة التنغيم، النغمة الهابطة، النغمة الصاعدة، النغمة المستوية

الثابتة

Abstract in English:

Human language consists of a group of sounds that combine with each other to form a set of structures with semantics, through

which we express our various needs and purposes the sounds intertwined within the language system form phonemic variations. In this article, we tried to find out what intonation is, and what its impact is on connotation differences and direct meanings.

We also searched for the levels of intonation and the implications of the different up, down and stable tones in the speech stair according to the multiplicity of declarative, construction and declarative methods, so we distinguished the descending, ascending and flat fixed tone.

And we finally came to the conclusion that the phenomenon of intonation is one of the phenomena related to spoken speech only, which directs the semantics of the composition through the different tones in the multiplicity of styles and contexts, as it is a feature above the structure that shows the hidden semantics in the structures.

Keywords: language, sounds, intonation phenomenon, descending tone, ascending tone, steady flat tone

تقديم:

تعد اللغة بمكوناتها خزيناً للمبدع، يستقي منها تعابيرها وتراكيبه اللغوية بشكل يتناسب وموضوعه المطروق، وهي كما نعلم وجهان ، وجه مكتوب ووجه منطوق يتمثل في الكلام، والذي من خلاله يتواصل الناس فيما بينهم ويحققون أغراضهم المختلفة. ولا شك في أن الكلام يتكون أساساً من أصوات مجتمعة تتظافر للقيام بوظيفة معينة، فالأصوات لا تعبر عن ذاتها وإنما تعبر عن معانيها داخل سياقها، فالأصوات بتعالقها وتضامها داخل منظومة اللغة تشكل لنا تنوعات صوتية منتظمة تظهر في بنية السطح على هيئة ملامح تمييزية لها نواتج قيمية توجه منظور السياقات. فللتركيب الصوتي إذن ملمحان هامان: الملمح الصوتي الذي يمثل الأصوات المفردة التي تشكل التركيب ، والملمح فوق التركيبي أي الفونيمات التي تؤدي أدواراً تصاحب هذا التركيب و تؤثر فيه صرفياً ونحوياً ودلالياً، ومن هذه الظواهر فوق التركيبية والتنوعات الصوتية التي تقوم بدور ووظيفة في توجيه دلالة التركيب المقطع والنبر التنغيم والذي نحن بصدد دراسته في هذا المقال.

بداية يجب الوقوف على مفهوم التنغيم لغة واصطلاحاً وهل عرفه العلماء قديماً أم أنه ظهر عند المحدثين فقط؟

من الناحية اللغوية: جاء في لسان العرب في "مادة (نغم) النغمة جرس الكلمة وحسن الصوت والقراءة وغيرها وهو حسن النغمة ، والجمع نغم وقيل: النغم هو الكلام الخفي"¹

أما من الناحية الاصطلاحية فقد تعددت تعريفات المحدثين للظاهرة واختلفت بين التنعيم والنغمة الموسيقية وموسيقى الكلام والنبر الموسيقي.

فالدكتور ابراهيم أنيس يصطلح عليه موسيقى الكلام ويعرفه بقوله: "إن الإنسان حين ينطق بلغته لا يتبع درجة صوتية واحدة في النطق بجميع الأصوات ... ومن اللغات ما يجعل لاختلاف درجة الصوت أهمية كبرى إذ تختلف معاني الكلمات تبعا لاختلاف درجة الصوت حين النطق بها"² ، فهو إذا اختلفت درجات الصوت في درج الكلام وبذلك تتغير الدلالة. ويرى الدكتور كمال بشر أيضا أن "الكلام عند إلقائه تكسوه ألوان موسيقية لا تختلف عن الموسيقى إلا في درجة التوائم والتوافق بين النغمات الداخلية التي تضع كلا متناغم الوحدات والجنابات ، وتظهر موسيقى الكلام في صورة ارتفاعات وانخفاضات... إذ الكلام مهما كان نوعه لا يلقى على مستوى واحد بحال من الأحوال"³

فهو يرى أن الكلام عند إلقائه يعرف تنويعات صوتية أشبه بالنغمات الموسيقية الصاعدة والهابطة.

إذن فالنتعيم ظاهرة صوتية تتعلق بالكلام في شكله المنطوق دون المكتوب ، وهو يمثل التغيرات في الدرجات الصوتية ارتفاعا وانخفاضا في درج الكلام بحسب اختلاف الأساليب، والتي تؤثر في الدلالة والمعنى.

و قد عرف علماءنا القدامى التنعيم وإن لم يصطلحوا عليه كذلك، فنجد ابن جني يستخدم مصطلحات كالطريح والتطويح ومط الكلام والتخيم ، "و هي لا تخرج عن كونها وسائل تنعيمية تساعد على فهم المعنى في السياق"⁴

ف نجد في كتابه الخصائص حديثا عن التنعيم وأثره في توجيه دلالة الاستفهام والإخبار في باب نقض الأوضاع إذا ضامها طارئ عليها : " ومن ذلك لفظ الاستفهام إذا ضامه معنى التعجب استحال خبرا، وذلك قولك: مررت برجل، أي رجل، فأنت الآن مخبر بتناهي الرجل في الفضل ولست مستفهما...و من ذلك لفظ الواجب إذا لحقته

همزة التقرير عاد نفياً، وإذا ألحقت به لفظ النفي عاد إيجاباً وذلك قول الله سبحانه: أأنت قلت للناس ، أي ما قلت لهم وقوله: أأست بربكم، أي أنا كذلك.⁵

و إذا أردنا الحديث عن أهمية ظاهرة التنغيم في الكلام، فإن التنغيم أولاً يقوم بوظيفة "الترقيم في الكتابة"، غير أن التنغيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة⁶، فهو يعبر عن طرق مختلفة من الأداء للتركياب المقروءة فتعطيها معان مختلفة ومتعددة، ويساعد على "إزالة اللبس عن معنى الجملة وإدراك الفرق بين المعاني المتعددة وفهم المراد... فالمتكلم قد يهدف بحديثه وتتابع نغمات كلامه العتاب أو الاستثاث أو لفت النظر أو الامتناع، إلى غير ذلك من المعاني التي لا يمكن إدراكها إلا بمعرفة التنغيم"⁷

إذن للتنغيم أهمية بالغة في التفريق بين المعاني المتعددة للتركياب والأشكال المختلفة للأداء، فهو يعيننا على "التفريق بين معاني الجمل الخبرية والإنشائية فقد تكون الجملة خبرية في المعنى وتحتوي على أداة استفهام في اللفظ، وقد تكون استفهامية دون أن تحوي أداة استفهام، وفي أحيان كثيرة تكون قرينة التنغيم أعظم أثراً من القرينة اللفظية"⁸، فمن خلال التلوين في الدرجات الصوتية للتركياب، تفهم المعاني المختلفة للأساليب المتعددة، وتبين الدلالات الخفية كالتهمك والزجر والتعجب والدهشة والغضب والحزن والفرح وغيرها...

و تختلف مستويات التنغيم ودرجات الصوت باختلاف الأساليب وتعدد الدلالات، فقد ذكرنا أن التنغيم يمثل التغيرات الصوتية ارتفاعاً وانخفاضاً، فسيشكل بذلك نغمات صاعدة وهابطة ومستوية تختلف بحسب تعدد الأداءات فتوجه الدلالات.

و نميز أولاً النغمة الهابطة **falling** وتمثل الأساليب التقريرية كالاتبات والنفي والشرط والدعاء والاستفهام الذي لا يتطلب جواباً ويقول الدكتور كمال بشر: "إن الجمل التقريرية لها نمط خاص من التنغيم في نهايتها يتمثل هذا النمط في النغمة الهابطة التي تدل على تمام المنطوق واكتماله"⁹، و نذكر من الامثلة عليها في القرآن الكريم: " في قوله تعالى (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) // الضحى 3، ويمثل الوقف هنا بنغمة هابطة في سياق ختام جملة منفية"¹⁰، كما يظهر التنغيم الهابط في الاستفهام الذي يخرج عن غرضه إلى معنى التمني مثلاً، " إذ أن طلب ما لا يدرك لا بد أن يكون بتلك النغمة الحزينة فنجد تلك النغمة في قوله تعالى: " هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ

الَّذِينَ نُسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ
فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ//الأعراف
53، وقد استوتقوا أنهم يطلبون مالا حق لهم فيه فكانت نعمة الطلب هابطة وادعة¹¹
فأساليب الدعاء والتضرع والتمني كلها تؤدي بنغمات هابطة تتناسب مع معاني
الضراعة والتذلل والحاجة والتمني، وكذا الإثبات والنفي لأن الكلام تام عندها لا يحتاج
إلى شيء بعده.

أما المستوى الثاني من التنعيم فهو النغمة الصاعدة **rising** وتكون غالبا في
أسلوب الاستفهام بواسطة الأداتين هل والهمزة والتي يكون معنى الجملة فيها غير تام،
"الجملة الاستفهامية وبخاصة التي تستوجب الإجابة بلا ونعم تنتهي بنغمة صاعدة
لدليلا على أن الكلام لم يتم وتماهه بالاجابة التي تكون بنغمة هابطة"¹² ومن الأمثلة
على ذلك "قوله تعالى: "قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا"/الكهف103، وقوله: (يَوْمَ
نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ)// ق30 وقوله: (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ
حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا/ الانسان1، فالوقف في هذه السياقات يكون
بنغمات صاعدة قوية تترصد الإجابة التي تستقر عندها هذه الأسئلة لتشكل الإجابات
نغمات هابطة قارة في هذا السياق"¹³.

أما المستوى الأخير فهو النغمة المسطحة المستوية ويختلف أداؤها عن النغمة
الصاعدة والهابطة فهي تمثل "الأداء الطبيعي للجمال بحسب المستوى الموضوع لها
أصلا ، فمثلا الإخبار له أداء يميزه مما سواه من أساليب العربية فالثبات على ذلك
المستوى يولد من خلاله أدائه نغمة مستوية ثابتة"¹⁴.

و هكذا يكون قد تبين لنا أثر التغير النغمي في التفريق بين دلالات الجمل
والتمييز بين الخبر والإنشاء والنفي والإثبات والاستفهام والتهكم والزجر والتوبيخ والإنكار
وغيرها من الأساليب اللغوية.

تطبيق ظاهرة التنعيم على سورة ص

رأينا أن النغمات تختلف صعودا وهبوطا وفق اختلاف الأساليب، فنرى النغمات
الصاعدة في الأساليب الانشائية كالاستفهام بالأداتين هل والهمزة، ونرى النغمات
الهابطة في الأساليب التقريرية كالدعاء والتمني والشرط والنفي ورصدنا النغمات

المستوية في الجمل الخبرية، وسنرى بعض الأمثلة على كل نمط من التنعيم في سورة "ص"

أولاً: الأساليب الإنشائية

الجملة الإنشائية "هي الجملة التي لم تشتمل على خبر وإنما أنشأ النطق بها حدثاً ما، كإنشاء طلب الفعل أو طلب الفهم... فليس القصد من الجملة الإنشائية الإعلام بنسبة حكمية تحققت أو لم تتحقق في الواقع، وإن كان يلزم عقلاً من إيراد الجملة الإنشائية فهم قضايا وجمل خبرية أخرى لا تدل عليها الجملة الإنشائية بمنطوقها دلالة مباشرة بل تدل عليها بالزوم الذهني، كالأمر والنهي والدعاء والاستفهام والمدح والذم..." (15).

1. أسلوب النفي:

الآية الكريمة: "كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِمَّنْ فَتًى فَنَادَوْا وَلَا تَجِئْ مِنَّا" ص 3 تختص لا النافية للجملة الفعلية بأمور عدة منها "أنها تزداد عليها التاء فتصبح لات وتختص وقتئذ بنفي نوع مخصوص من الجمل الاسمية يحذف أحد طرفيه وتكون الجملة ذات دلالة خاصة، إذ يشترط أن تكون ألفاظها دالة على الزمن كالحين والوقت والساعة، ومن ذلك قوله تعالى : (فنادوا ولا تَجِئْ مِنَّا) (16).

ويقول الشيخ الطاهر بن عاشور: "و(لات) حرف نفي بمعنى (لا) المشبهة بـ (ليس) ولات حرف مختص بنفي أسماء الأزمان وما يتضمن معنى الزمان من إشارة ونحوها، وهي مركبة من لا النافية وصلت بها تاء زائدة لا تفيد تأنيثاً لأنها ليست هاء وإنما هي كزيادة التاء في قولهم : رُبْتُ وَثُمْتُ، والنفي بها لغير الزمان ونحوه خطأ في اللغة" (17). ولات هي "إحدى الحروف العاملات عمل ليس لشبهها بها في النفي، أو هي ليس بكسر الياء قلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها وأبدلت السين تاء، وله شرطان كون معموليها إسمي زمان وحذف أحدهما، والغالب في المحذوف هو الاسم نحو : ولات حين مناص أي ليس الحين حين فرار" (18).

"وأشهر أقوال النحويين في لات أنها تعمل عمل ليس، وأنها لا تعمل إلا في الحين خاصة أو في لفظ الحين ونحوه من الأزمنة كالساعة والأوان وأنها لا بد أن يحذف اسمها أو خبرها والأكثر حذف المرفوع منهما وإثبات المنصوب، وهذا قول سيبويه" (19).

وبهذا يكون تنعيم هذه الآية هابطاً لما في ذلك من نفي واستغاثة للكفار حين رأوا العذاب وليس الوقت وقت خلاص ونجاة فقد استغاثوا حين لم ينفعهم ذلك، وكما تتناسب هذه النعمة مع الاستغاثة والاستجداء الذي طلبه الكفار ولم يكن لينفعهم ذلك فليس الحين حينه لما رأوا العذاب.

الآية الكريمة: " وَمَا يَنْتَظِرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صِيحَةٌ وَاحِدَةٌ مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ " ص 15.

"تنفي" ما "الجملة الاسمية والفعلية فإن دخلت على الجملة الفعلية لم تعمل، نحو قوله تعالى: (وما تتفوقون إلا ابتغاء وجه الله، ويأتي بعد (ما) الاسم والفعل، وتدخل (ما) على الفعل الماضي والمضارع، فإذا نفت المضارع تخلص عند الجمهور للحال، يقول سيبويه: وأما (ما) نفي لقوله: هو يفعل إذا كان في حال الفعل فتقول ما يفعل" (20).

و بالرجوع إلى كتب التفسير لاستخلاص المراد من الآية الكريمة نجد "ما" النافية في هذه الآية ويأتي معناها "وما ينتظر هؤلاء المشركون كفار مكة إلا نفخة واحدة ينفخ فيها اسرافيل في السور فيصعقون"، وما لها من فواق أي مالها من توقف ولا تكرار، والجملة ما لها من فواق جملة منفية وهي صفة لصيغة²¹

"الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق لتقرير عقاب كفار مكة بعد بيان عقاب من سبقوهم في الغواية، وما نافية وينظر فعل مضارع أي ينتظر، وما لها من فواق: ما نافية حجازية أو تميمية ولها خبر مقدم، وفواق اسم مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه اسم ما أو مبتدأ مؤخر" (22).

و تكون النعمة في هذه الآية هابطة لما حوته الآية من تقرير وقوع العذاب بالمشركين وهم في حكم المنظرين له، فإذا حل بهم وكانت الصيحة فلا تأجيل ولا توقف، فهم هالكون لا محالة وجاءت الآية في سياق نفي وتكرار فيها مرتين -ما ينظر-، -مالها- ويمثل الوقف هنا نعمة هابطة في سياق ختام جملة منفية.

2. أسلوب النداء

قوله تعالى " قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ "

ص 35

اتجه سليمان في هذه الآية إلى الله بالدعاء والرجاء وطلب المغفرة، وأقرب تأويل لقوله: "(وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي) إنما أراد به ملكاً ذا خصوصية تميزه

عن كل ملك آخر بعده، وإذا طبيعة معينة ليست مكررة ولا معهودة في الملك الذي يعرفه الناس، وقد استجاب له ربه فأعطاه فوق الملك المعهود ملكا خاصا لا يتكرر⁽²³⁾.

ويقول الشيخ الطاهر بن عاشور : "وجملة (قال رب اغفر لي) بدل اشتغال من جملة (أناب) لأن الإنابة تشتمل على ترقب العفو عما عسى أن يكون قد صدر منه مما لا يرضي الله تعالى صدره من أمثاله، وإردافه طلب المغفرة باستيهاب ملك لا ينبغي لأحد من بعده لأنه توقع من غضب الله أمرين : العقاب في الآخرة، وسلب النعمة في الدنيا إذ قصر في شكرها، وكان سليمان يومئذ في ملك عظيم فسؤال موهبة الملك مراد به استدامة ذلك الملك وتتكبر (ملكا) للتعظيم"⁽²⁴⁾.

ويذكر أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط أن دعاء سليمان ربه هو من "أدب الأنبياء والصالحين من طلب المغفرة من الله هضما للنفس وإظهارا للذلة والخشوع وطلبا للترقي في المقامات، والاستغفار مقدمة بين يدي ما يطلب المستغفر بطلب الأهم في دينه، فيترتب عليه أمر دنياه"⁽²⁵⁾.

وفي هذه الآية الكريمة تكون النعمة هابطة لتتوافق مع سياق الدعاء وطلب المغفرة وما يحيط بذلك من الذل والخشوع والهيبة إذ المنادي هو رب العزة جل ثناؤه، فوجب التذلل وإظهار الخشوع والرجاء في طلب العفو فجاءت الآية بنغمة هابطة وادعة في سياق الدعاء.

3. أسلوب الاستفهام

الاستفهام بالهمزة :

في قوله تعالى : " أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ " ص 5
و قوله تعالى : " أَنزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابِي " ص 8

جاء في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور أنّ الهمزة في (أجعل) إنما هي همزة "للاستفهام الإنكاري التعجبي لذلك أتبعوه بما هو كالعلة : (إنّ هذا شيء عجاب) : وقد ابتدءوا الإنكار بأول أصل من أصول كفرهم، فإن أصول كفرهم ثلاثة : الإشراك وتكذيب الرسول وإنكار البعث والجزاء في الآخرة"⁽²⁶⁾.

أما الآية الثانية فهي تحمل الأصل الثاني من أصول إنكارهم وهو تكذيب الرسول، والاستفهام في قوله تعالى : (أ أنزل عليه الذكر من بيننا) أيضا استفهام إنكاري : "ومناطق الإنكار هو الطرف (من بيننا) فانكروا أن يخص محمد صلى الله عليه وسلم بالإرسال وإنزال القرآن دون غيره منهم" (27).

ويتوافق ما ذكره الشيخ الطاهر ابن عاشور مع ما ذكره كل من القرطبي في جامعه (28)، والشوكاني في فتح القدير (29) وكذا الشيخ محي الدين الدرويش (30) في إعراب القرآن وبيانه، وغيرهم من المفسرين في أن الاستفهام بالهمزة في هذه الآيات إنما هو استفهام إنكاري، وبذلك تكون النعمة في هذه الآيات صاعدة كما عرضنا لذلك في الجزء النظري، فالاستفهام بالأداتين هل والهمزة يأتي في نعمة صاعدة قوية، والوقوف على نهايات هذه الأسئلة بما تحمله من شحنات دلالية وسياقية بطل متصاعدا لأن الأجوبة لم يتم رصدها بعد.

الاستفهام بهل:

الآية الكريمة "وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخُسُفِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ" ص 21

هل في هذه الآية "حرف استفهام معناه التعجب والتشويق إلى استماع ما يرد بعده" (31) ويذكر الشيخ الطاهر بن عاشور أن "الاستفهام مستعمل في التعجب أو في الحث على العلم، فإن كانت القصة معلومة للنبي صلى الله عليه وسلم" كان الاستفهام مستعملاً في التعجب، وإن كان هذا أول عهده بعلمها كان الاستفهام للحث (32).

ويقول ابن القيم رحمه الله إن "ورود الكلام في مثل هذا بصيغة الاستفهام سرّ لطيف ومعنى بديع، فإن المتكلم إذا أراد أن يخبر المخاطب بأمر عجيب ينبغي الاعتناء به وإحضار الذهن له صدر له الكلام بأداة الاستفهام لتنبيه سمعه وذهنه للمخبر به، فقول الله تعالى : (هل أتاك حديث موسى) وقوله : [هل أتاك نباء الخضم] متضمن لتعظيم هذه القصص والتنبيه على تدبرها ومعرفة ما تضمنته" (33).

وتكون النعمة في هذه الآية صاعدة لأن الاستفهام بالأداة هل، كما أن الغرض هنا لفت انتباه السامع وإحضار ذهنه لما يتضمنه الخبر من تعظيم وتعجيب وهذا الغرض يتناسب معه النعمة الصاعدة العالية لبيان أهميته وضرورة الاعتناء به.

الاستفهام بباقي الأدوات : الاستفهام بغير هل والهمزة لا يفيد الاستفهام وإنما يخرج الى أغراض أخرى كالخبر في الآية الكريمة التالية:

قوله تعالى: "كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ فَنَادَواْ وَلَاتْ حِينَ مَنَاصٍ" ص 3

أداة الاستفهام كم في هذه الآية لم تؤد معنى الاستفهام بل جاءت خبرية كما يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في أضواء البيان " كم هنا الإخبارية ومعناها الإخبار عن عدد كثير ³⁴

فأداة الاستفهام في هذه الآية لم تعد الاستفهام بل خرجت إلى الإخبار ولم تتطلب جواباً فالكلام منته عندها وبذلك تكون النعمة في هذه الآية هابطة لخروج الاستفهام عن غرضه ، والوقوف عندها بنعمة هابطة تدل على تمام المراد واكتماله.

و هذه هي الآية الوحيدة التي جاء فيها الاستفهام بأداة غير الهمزة وهل.

الاستفهام بغير الأداة

قوله تعالى: "أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ - أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ" ص 9-10

لا وجود لأداة الاستفهام في هذه الآية لكن أم هنا " مشعرة باستفهام بعدها للانكار والتوبيخ، انكاراً لقوله تعالى -أنزل عليه الذكر من بيننا- أي ليست خزائن فضل الله تعالى عندهم فليتصدوا لحرمان من يشاؤون من مواهب الخير فإن المواهب من الله يصيب بها من يشاء فهو يختار للنبوّة من يصطفيه، أما الاستفهام المقدر بعد أم المنقطعة-أم لهم ملك السماوات- تهكمي وليس انكارياً لأن تفرغ أمر التعجيز عليه يعني أنه تهكمي فالمعنى إن كان لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما فكان لهم شيء من ذلك فليصعدوا إن استطاعوا في أسباب السماوات ليخبروا حقائق الأشياء ³⁵، الاستفهام في هذه الآية مقدر يفهم من السياق ومن خلال طريقة التنغيم فتكون النعمة في هذا الموضع هابطة تتناسب وأسلوب التهكم والتقرير، لأن الكفار لا يملكون خزائن رحمة الله ولا ملك السماوات والأرض، والاستفهام في هذه الآيات لا يطلب جواباً ، فالكلام يتم عنده بنعمة هابطة في سياق الانكار والتهكم والتوبيخ.

ثانياً: الأسلوب الخبري

"الأصل في توجيه الكلام الذي يتضمن خبراً ما أن يكون الغرض منه الإعلام بالخبر الذي دلّ عليه الكلام، أي إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة، ويسمى هذا عند علماء البلاغة "لازم الفائدة".

وقد يراد من توجيه الخبر إعلان الفخر أو المدح والثناء أو التحسر والتأسف، أو الاسترحام والاستعطاف أو التوبيخ أو الوعظ أو الشتيمة أو التذكير... إلى غير ذلك من الأغراض" (36).

وبما أن أحوال المخاطبين يختلف، فعلى المتكلم مراعاة هذا الاختلاف، ووجب أن يراعي الكلام مقتضى الحال، "فإذا كان الذي تخاطبه خالي الذهن لا تعرف منه إنكاراً ولا تجد في نفسه شكاً أو تردداً فيما تلقيه إليه فينبغي أن تلقي إليه الخبر خالياً من التأكيد، أما إذا كانت تدرك من الذي تخاطبه شكاً فيحسن أن تؤكد له الخبر، لتزيل ما في نفسه من شك، أما إذا كنت تعرف أنه منكر فيجب أن تؤكد له الكلام على قدر ما تعرف من إنكاره" (37).

و تأتي النعمة المستوية في سياق الاخبار ، ونأخذ من الأمثلة قوله تعالى قوله تعالى : "قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَىٰ نَعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ" ص 24

ونلاحظ احتواء الآية الكريمة على عدد من المؤكدات : (اللام - قد - إن - اللام (ليبغي) - أنما) وقد سبقت هذه الآية في سياق القصة بقوله تعالى : " اضْطُرَّ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ " ص 17 ولفظة الذكر تتعلق بالأخبار، وذكر فعل أمر أي اقرأ عليهم ما أخبرك الله به، "ومادة الذكر تنبض بلون من الخبر تتمثل في الحفاظ عليه وإدامة بقائه على اللسان والقلب، وقد عدّ الدامغاني الذكر وجهاً للخبر في القرآن الكريم" (38).

و من الأمثلة أيضاً: قوله تعالى : " وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ

بُنُصْبٍ وَعَذَابٍ" ص 41

" وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ " ص 45

" وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ" ص 48

وقوله تعالى : [واذكر عبدنا داوود] فالذكر هنا هو "التذكر وليس هو ذكر اللسان لأنه إنما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك لتسليته وحفظ كماله، لا ليعلمه المشركين ولا ليعلمه المسلمين على أن كلا الأمرين حاصل حين إبلاغ المنزل في شأن داوود، قراءته عليهم، ومعنى الأمر بتذكر ما سبق إعلام النبي صلى الله عليه وسلم به من فضائله وتذكير ما عسى أن يكون لم يعلمه مما يعلم به في هذه الآية"⁽³⁹⁾.

وتكون النغمة في سياق الإخبار والقصص القرآني مستوية مسطحة وهي نغمة بين بين، لأن هذه النغمة لا تملك مقدمات الأداء التصاعدي الموجود في سياق الاستفهام بهل والهمزة، كما أنها لا تملك الحس التقريبي الذي تسمح به بنية الجملة التقريرية (الشرط والنفي والدعاء...) ⁽⁴⁰⁾.

خاتمة:

بعد هذه الدراسة الموجزة خلصنا إلى مجموعة من النتائج لعل أهمها:

- التنغيم هو موسيقى الكلام وهو عبارة عن اختلاف درجات الصوت ارتفاعا وانخفاضا في درج الكلام، وذلك لأغراض متعددة وفقا لاختلاف الدلالات.
- تظهر أهمية التنغيم في دوره الفعال في دراسة الأساليب والتمييز بين ما هو انشائي وخبري كذا بين مختلف أنواع الفعل الانساني من تعجب وتهكم وزجر وحزن وفرح....

- تختلف مستويات التنغيم باختلاف الأساليب وتعدد دلالاتها، وباعتبار انخفاض الصوت وارتفاعه وثباته، ونميز ثلاث مستويات للتنغيم
- النغمة الهابطة: وتتمثل في الجمل التقريرية، وكذا الجمل الاستفهامية التي لا تتطلب جوابا وجاءت للإخبار، هذه الجمل تدل على تمام المنطوق واكتماله
- النغمة الصاعدة وتكون في سياق الاستفهام بالأداتين هل والهمزة والتي تستوجب الإجابة بنعم ولا وتنتهي بنغمة صاعدة دليلا على أن الكلام لم يتم وتماهه بالإجابة عنه
- النغمة المستوية وهي الأداء الطبيعي للجمل بحسب المستوى الموضوع لها أصلا مثل الإخبار، ويتحقق الأداء بنغمة ثابتة.

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع.
2. ابراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، مطبعة النهضة ، دت- د ط
3. ابو حيان الأندلسي، البحر المحيط ، دار الكتب العلمية، د ط ، 2001م
4. أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 2، 1993م.
5. أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر ، بيروت- لبنان، دط / دت
6. أسامة عبد العزيز جاب الله ، جماليات الايقاع في اللغة العربية، كلية الآداب جامعة كفر شيخ، موقع رابطة أدباء الشام 2008/12/06
7. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق : هشام البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، دط، 1423 هـ-2003
8. تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة ، الدار البيضاء المغرب، د ط ، 1994
9. حارث عادل محمد زيود، بناء الجملة الفعلية بين النفي والإثبات في سورة آل عمران (دراسة نحوية دلالية)، رسالة ماجستير ، إشراف أ.د. أحمد حسن حامد، جامعة النجاح الوطنية، نابلس-فلسطين، سنة 2008م
10. رائدة كاظم فياض ، الاتساق الصوتي في نهج البلاغة، التنعيم أنموذجا، مجلة العميد، العدد 6 ، 2013
11. سامي عوض، عادل نعامة، دور التنعيم في تحديد معنى الجملة العربية، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الاداب والعلوم الانسانية، مجلد 20، العدد 1، 2006
12. سهل ليلى، التنعيم واثره في اختلاف المعنى ودلالة السياق ، جامعة محمد خيضر بسكرة، مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 7، جوان 2007
13. سيّد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، الطبعة الشرعية 11، 1405هـ - 1985

14. عبد الرحمن حسن بن حنيفة الميداني، البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد، دار القلم، دمشق- سوريا، الدار الشامية، بيروت، الطبعة 1، 1416هـ-1996م، ج 1
15. فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، 1417هـ-1997م
16. كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، سنة 2000م، د ط.
17. محمد أحمد إسماعيل المقدم، تفسير القرآن الكريم، دروس صوتية مفرغة، المكتبة الشاملة، ج 142
18. محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ج 4،
19. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، 1401هـ
20. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، د ط 1997م.
21. محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، عالم الكتب، بيروت-لبنان، د ط، د ت
22. محمد أحمد إسماعيل المقدم، تفسير القرآن الكريم، دروس صوتية مفرغة، المكتبة الشاملة، الجزء 142، ص 20
23. محيي الدين درويش، أعراب القرآن وبيانه، دار الارشاد، سوريا، د ط، د ت
24. مزاحم مطر، أثر التنعيم في توجيه الأغراض البلاغية لعلم المعاني، الاستفهام انموذجا، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العددان 3-4، المجلد 6، سنة 2007
25. هایل محمد طالب، التنعيم في التراث العربي، مجلة التراث العربي، العدد 21 السنة 23 أيلول -سبتمبر 2003.

26. هناء محمود شهاب، حسين علي عزيز الطائي، أسلوب الخبر في سورتي المائدة ومريم -موازنة بلاغية- مجلة أبحاث كلية التربية الاساسية، المجلد 2، العدد 1، 2005م.
27. وليد حسين، الظواهر الصوتية فوق التركيبية في اللغة العربية، مجلة دراسات: العلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد 36، العدد 3، 2009م

الفهارس:

- ¹ لسان العرب، ابن منظور ص 4490
- ² ابراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، مطبعة النهضة ، د ت- د ط ص 104
- ³ كمال بشر، علم الأصوات ، دار غريب للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، د ت ، ص 533
- ⁴ التنغيم في التراث العربي ، هائل محمد طالب ، مجلة التراث العربي ، ص 91
- ⁵ الخصائص ابن جني ، ص 538
- ⁶ التنغيم واثرو في اختلاف المعنى ودلالة السياق ، سهل ليلي، جامعة محمد خيضر بسكرة،
مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، العدد7، جوان 2007
- ⁷ تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة ، الدار البيضاء المغرب، د ط ،
1994، ص 47
- ⁸ دور التنغيم في تحديد معنى الجملة العربية، سامي عوض، عادل نعامه، مجلة جامعة
تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الاداب والعلوم الانسانية، مجلد20، العدد 1، 2006
- ⁹ كمال بشر ، علم الأصوات ص 543
- ¹⁰ وليد حسين الظواهر الصوتية فوق التركيبية في اللغة العربية ، ص 657
- ¹¹ مزاحم مطر ، أثر التنغيم في توجيه الأغراض البلاغية لعلم المعاني ، ص 45
- ¹² كمال بشر ، علم الاصوات ، 543،
- ¹³ أسامة عبد العزيز جاب الله ، جماليات الايقاع في اللغة
- ¹⁴ رائدة كاظم فياض ، الاتساق الصوتي في نهج البلاغة، التنغيم أنموذجا، مجلة العميد، العدد6
، 2013، ص 101
- ¹⁵ عبد الرحمن حسن بن حنيفة الميداني، البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها وصور
من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد ، دار القلم، دمشق-سوريا، الدار الشامية، بيروت،
الطبعة1، 1416هـ-1996م، ج1، ص ص 167- 168.
- ¹⁶ حارث عادل محمد زيود، بناء الجملة الفعلية بين النفي والإثبات في سورة آل عمران (دراسة
نحوية دلالية)، رسالة ماجستير ، إشراف أ.د. أحمد حسن حامد، جامعة النجاح الوطنية،
نابلس-فلسطين، سنة 2008م ، ص58.
- ¹⁷ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج23، ص206.

- (18) محيي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، ج8، ص314.
- (19) الشنقيطي، أضواء البيان، ج6، ص333.
- (20) حارث عادل محمد زيود، بناء الجملة الفعلية بين النفي والإثبات، ص59.
- (21) صفوة التفسير، الصابوني، ج3، ص116.
- (22) محيي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، ج8، ص324.
- (23) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج6، ص211.
- (24) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج23، ص262.
- (25) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، دار الكتب العلمية، ط2001 م، ج7، ص381.
- (26) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج23، ص210.
- (27) المرجع نفسه، ج23، ص214.
- (28) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، 1423 هـ - 2003 م، ج15، ص149.
- (29) محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ج4، ص421.
- (30) محي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد، سوريا، ط2، ج8، ص380.
- (31) المرجع نفسه، ج8، ص332.
- (32) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج23، ص213.
- (33) محمد أحمد إسماعيل المقدم، تفسير القرآن الكريم، دروس صوتية مفرغة، المكتبة الشاملة، ج142، ص20.
- (34) أضواء البيان، الشنقيطي، ج6، ص330.
- (35) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج23، ص217/216.
- (36) عبد الرحمن حسن بن حنيفة الميداني، البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها، ص174-173.
- (37) فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفانها (علم المعاني)، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، 1417هـ-1997م ص113. - أحرف التثنية (ألا - أما) الأحرف الزائدة: إن، أن، ما، من، الباء.
- (38) المرجع السابق، ص44.
- (39) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج23، ص227.
- (40) أسامة عبد العزيز، جماليات الإيقاع في اللغة العربية.